

الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية
الثلاثاء ١٢ نوفمبر ٢٠١٣ م

عبادتنا الليتورجية هي ترتيب عقائدنا الإيمانية

المحاضرة الثالثة

الراهب أنثاسيوس المقاري

(٤)

ألقابُ الله الرُّوحِ القُدُسِ في النُّصوصِ اللَّيْتورجِيَّةِ

- | | | |
|---|------------------------------------|---|
| - الباراقليط. | - رُوحُ الحَقِّ. | - كَنْزُ الصَّالِحَاتِ. |
| - البسيط في طبيعته. | - رُوحُ السُّلْطَةِ. | - مالئ الكُلِّ. |
| - الحاضر (أو الحال) في كلِّ مكان. | - رُوحُ العَدَالَةِ. | - مالئ كلِّ مكان، ولا يحويه مكان. |
| - الذي ملأ الرُّسُلِ من كلِّ معرفة | - رُوحُ العَفَّةِ. | - المساوي للآب والابن. |
| وكلِّ فهم، وكلِّ حكمة رُوحِيَّة. | - رُوحُ القُداسَةِ. | - معطي الحياة. |
| - الذي يحيي نفوسنا. | - الرُّوحُ القُدُسُ. | - الملكُ السَّمائِيُّ. |
| - الذي يُقَدِّسُ نفوسنا وأجسادنا | - رُوحُ البِنوَّةِ (التَّبَنِّي). | - المنبثق من الآب. |
| وأرواحنا. | - رُوحُ البِنوَّةِ. | - النَّارُ غَيْرُ الهَيولِيَّةِ الَّتِي لَا يُفَكَّرُ |
| - الذي يُقَدِّسُ القُدسات، وينقلها | - الصَّالِحِ. | فيها. |
| ويُظهرها قُدسات للقُدَّيسين. | - غَيْرُ المتغَيِّرِ. | - النَّاطِقُ فِي النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ |
| - الذي يملأ الصَّعْبَةَ بِالْبَرَكَاتِ. | - غَيْرُ المَسْتَحِيلِ. | والرُّسُلِ. |
| - الرَّبِّ المَحْيِيِّ. | - الكَثِيرُ الأنواعِ فِي فِعْلِهِ. | - يَنْبوعُ النِّعَمِ الإلهِيَّةِ. |

* * *

وأما عند القُدَّيسِ غريغوريوس التَّزِينزِيِّ (٣٢٩-٣٨٩م)، وبحسب النُّصوصِ الكُتَابِيَّةِ، فَيُضَافُ إلى صفاتِ الرُّوحِ القُدُسِ:

- | | | |
|------------------------------|-------------------------------|----------------------------|
| - الحياة (لأنه معطي الحياة). | - الذي يُرشدنا إلى جميع الحق. | - التُّورِ. |
| - الخالق. | - الذي يعرف كلَّ شيء. | - رُوحُ الإِعْـمَـالِـانِ. |
| - الذي يجعلنا هياكل لله. | - الذي يُعلِّمنا كلَّ شيء. | |

* * *

• يُعْتَبَرُ القُدَّيسُ إِيرِينَاؤُسُ (١٣٠-٢٠٠م) وهو أبو التَّقْلِيدِ الكَنسِيِّ، أَنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هُوَ النَّاقِلُ لَصُورَةِ الآبِ وَالابْنِ إِلَى الْإِنْسَانِ (Haer. III, XVII, 3). والرُّوحُ القُدُسُ عنده، هُوَ عَلَى وَجْهِ العَمُومِ "رُوحُ اللَّهِ"، وَأحياناً قَلِيلَةً يَسْتَعْمَلُ عِبَارَةَ "رُوحُ الآبِ" (Hear III, XVII, 1)، وَلكِنَّهُ لَا يَسْتَعْمَلُ مَطْلَقاً عِبَارَةَ "رُوحِ الْإِبْنِ". أَمَّا عِنْدَ القُدَّيسِ أَنْتَاناسِيُوسِ الرَّسُولِيِّ (٣٢٨-٣٧٣م)، فَإِنَّ عِبَارَةَ "رُوحِ الْإِبْنِ" هِيَ التَّسْمِيَةُ المَعْتَادَةُ عِنْدَهُ لِلرُّوحِ القُدُسِ. وَحِينَما يَتَكَلَّمُ البَابَا أَنْتَاناسِيُوسِ الرَّسُولِيُّ عَنِ الرُّوحِ القُدُسِ كخْتَمٍ وَصُورَةٍ، فَهُوَ يَحْصُرُ هَذِهِ الاسْتِعَارَةَ فِي عِلَاقَةِ الرُّوحِ القُدُسِ بِالابْنِ. كَمَا يَدَافِعُ البَابَا أَنْتَاناسِيُوسُ عَنِ الرُّوحِ القُدُسِ كونه لَيْسَ مَخْلُوقاً وَلَا كَأَحَدِ المَلائِكَةِ.

تعقيبٌ على بعض ألقاب الرُّوح القدس

• "الباراكليت" أو "المعزي" Paraclete – παράκλητος

"الباراكليت" هو اسم الأَقْنوم الثَّالث من أَقَانِيم الثَّالوث القُدُّوس، وهو الاسم الذي دعاه به السيِّد المسيح: «متى جاء المعزِّي (الباراكليت) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، رُوحُ الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً» (يوحنا ١٥: ٢٦، ٢٧). كما لُقِّب به أيضاً أَقْنوم الابن (انظر: ١ يوحنا ٢: ١).

وكلمة "باراكليت" هي تعريب للكلمة اليونانية παράκλητος (باراكليتوس)، وهي صفة مشتقة من الاسم παράκλησις (باراكليسيس)، أي "الدَّعوة للمساعدة - A calling to one's aid"، والفعل الأصلي للكلمة هو παρακαλέω (باراكاليو) أي "يدعو بإلحاح للمعاونة". وعلى ذلك فكلمة "باراكليت" تفيد أيضاً معنى "المُعِين".

وُترجمت الكلمة اليونانية παράκλητος (باراكليتوس) في النِّصِّ اللاتيني للكتاب المقدَّس إلى كلمة advocatus أي الذي يقوم بـ "المساعدة القانونيَّة، والشَّفاعة عن آخر". ومن الكلمة اللاتينيَّة advocatus كانت الكلمة الإنجليزيَّة advocate أي "المحامي".

فصارت كلمة "الباراكليت" تفيد المعاني التَّالية: "المُعِين - المعزِّي - الشَّفيع - الوسيط - المحامي".

وقد وردت هذه الكلمة خمس مرَّات في كتاب العهد الجديد، وجميعها في كتابات الرِّسول يوحنا، منها أربع مرَّات في إنجيله^(١) تُرجمت إلى "المعزِّي"، ومرَّة واحدة في رسالته الأولى تُرجمت إلى "الشَّفيع" وهو الاسم الذي دُعي به أَقْنوم الابن الكلمة باعتباره شفيعُ البشريَّة لدى الله الآب؛ «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ، فلنا شفيعٌ παράκλητον عند الآب، يسوعُ المسيح البار. وهو كفارةٌ لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كلِّ العالم أيضاً» (١ يوحنا ٢: ١).

وورد معنى "الباراكليت" كـ "محامٍ وشفيع عن آخر" عند العلامة فيلو اليهودي (١٣ق.م - ٥٠م.م)، وفي كتابات الآباء الرِّسوليين، ولاسيَّما رسالة برنابا. وهو المعنى الذي سبق أن أوضحه الرِّب بقوله: «... فمتى أسلموكم، فلا تهتمُّوا كيف أو بما تتكلَّمون، لأنكم تعطون في تلك السَّاعة ما تتكلَّمون به، لأنَّ لستم أنتم المتكلِّمين، بل روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم» (متى ١٠: ١٩، ٢٠)، وهو ما نجده محققاً بكلِّ جلاء في سفر الأعمال^(٢).

ولقد مال معظم آباء الكنيسة لترجمة كلمة "الباراكليت" إلى كلمة "المعزِّي"، وهي نفس التَّرجمة التي انتهجتها النُّصوص اللُّبُورجِيَّة في بعض الكنائس الشَّرقيَّة، ولاسيَّما الكنيسة القبطيَّة. وكان الاعتماد في ذلك على أساس كتابي، كما ورد في سفر الأعمال: «وأما الكنائس في جميع اليهوديَّة والجليل والسَّامرة، فكان لها سلام، وكانت تُبني، وتسير في خوف الرِّب، وبتعزية الرُّوح القدس كانت تتكاثر» (أعمال ٩: ٣١).

فالحاماة والتَّشْفيع الذي يضطلع به الرُّوح القدس عن الإنسان في ضيقاته، هو نفسه أساس عزاء الإنسان. ويجمع القديس أغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م) بين المعنيين بقوله:

[إنَّ المعزِّي والحامي كلاهما تفسير لمعنى الباراكليت]^(٣).

وبعد صعود الرِّب يسوع إلى السَّماء، أرسل الرُّوح القدس كوعده، ليبقى إلى الأبد مع الكنيسة، يرشدها، ويعزِّفها، ويذكِّرها، بمشيئة المسيح. ويتكلَّم فيها بكلمة المسيح، شاهداً له. أي أنه يجعل حضورَ المسيح في الكنيسة، حضوراً روحيّاً واقعيّاً حياً.

١ - يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦، ١٥: ٢٦، ١٦: ٧

٢ - أعمال ٤: ١ - ٨

وإلى جانب كلمة *παράκλητος* (بارا كليتوس)، فهناك أيضاً في اللغة اليونانية كلمة *ὑπεντυγχάνω* (إنتينخانو) – والمشتقة منها كلمة *ὑπερεντυγχάνω* (هيبير إنتينخانو) – وهي الخاصة بالشفاعة، كقول الإنجيل عن الروح القدس إنه «يشفع في القديسين» (رومية ٨: ٢٧). أو «الذي أيضاً يشفع فينا» (رومية ٨: ٣٤). أو «حي في كل حين ليشفع فينا» (عبرانيين ٧: ٢٥). وأيضاً: «يشفع فينا بأنات لا ينطق بها» (رومية ٨: ٢٦).

• هذا من جهة “الشفاعة” في الكتاب المقدس.

حول تطوّر “الشفاعة” في الصلوات الليتورجية

وأما من جهة الصلوات الليتورجية، فقد لفت نظري، أنّ “مخطوط أنبا مقار”^(٤)، وهو مخطوط أبصلمودية قبطي عربي لخدمة شهر كيهك، ويعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وهو من أقدم الأبصلموديات القبطية في العالم، ومعه “مخطوط فيينا”^(٥) والذي يعود إلى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر على أكثر تقدير، حين أوردنا دُكصولوجيات واطس لرؤساء الملائكة، والسّمائيين، ويوحنا المعمدان، ختما هذه الدُكصولوجيات بالرُّبع: *Πωβελ ἰΠποσ ἐρηνη ἔχων*: “اطلب (أو اطلبوا) من الرّب عنّا ... الخ”، وليس كما في الأبصلموديات المطبوعة لدينا الآن: *Δριπρεσβετιν ἐρηνη ἔχων* “اشفع (أو اشفعوا) فينا ...”.

ولذلك جاءت الترجمة العربية في “مخطوط أنبا مقار”، و “مخطوط فيينا” لدُكصولوجيات رؤساء الملائكة والسّمائيين في مقابل الرُّبع الأخير والذي هو: *Πωβελ ἰΠποσ ἐρηνη ἔχων* جاءت هكذا: “اضرع إلى الرّب عنّا يا رئيس الملائكة الأطهار، ميخائيل رئيس السّمائيين، ليغفر ...”. أو: “اطلب في الرّب عنّا يا رئيس الملائكة الأطهار رافائيل ...”. وهكذا في باقي دُكصولوجيات السّمائيين.

ومن المعروف أنّ كلمة *Πωβελ* (طُبه) هي كلمة قبطية الأصل، بينما كلمة *Δριπρεσβετιν* (أريبريزيفين) هي كلمة يونانية الأصل. وأصل الفعل لهذه الكلمة اليونانية هو *προσβέω* (بريزيفيو)، والاسم منه فهو *προσβεία* (بريسفيا). والفعل *προσβέω* (بريزيفيو) يعني: “يعمل أو يسافر كسفير أو كرسول”^(٦)، يكون الأكبر سناً، يأخذ المكان الأوّل، يكون الأفضل منزلة، يحتل مرتبة متقدّمة، يقدم تكريماً وعبادة، يحكم“. وهذه هي المعاني المختصة بهذا الفعل في النصوص الكتابية. ولكن هذا الفعل تتطوّر في النصوص الآبائية، أي في كتابات آباء الكنيسة، ليأخذ المعاني التالية: “يفاوض، يترافع، يتشفّع، يُصلّي، يحامي، يؤيد، يتعهّد بالعناية، يفتخر، يبجل أو يوقر”^(٧).

أمّا الاسم *προσβεία* (بريزفيا) فيعني: “سفير، سفارة”^(٨)، سن، أسبقية أو أقدمية، درجة، منصب رفيع، وقار“ وهي المعاني التي نجدّها في النصوص الكتابية. ثمّ تطوّر استخدام هذا الاسم في كتابات آباء الكنيسة ليعني: “ترافع، سؤال، استرحام، شفاعة”^(٩).

ومن ثمّ، فإنّ الرُّبع الأخير من دُكصولوجيات رؤساء الملائكة والسّمائيين ويوحنا المعمدان – بالإضافة إلى يوحنا الرسول الإنجيلي في مجمع القديسين في التسبحة، بحسب الطّقس الحالي – والذي يبدأ بكلمة *Δριπρεσβετιν* (أريبريزيفين)، أي:

٤ – وهو مخطوط رقم (مسلسل ٤٣٨ / طقس ٢٢١). مكتبة دير أنبا مقار.

٥ – وهو مخطوط رقم (قبطي ٣). مكتبة فيينا (النمسا).

٦ – انظر: ٢ كورنثوس ٥: ٢٠؛ أفسس ٦: ٢٠.

7- Lamp, G.W.H., *A Patristic Greek Lexicon*, Oxford, 1961, p. 1128, 1129.

προσβέω = be elder, have precedence in age, act as ambassador, plead, intercede, pray, advocate, espouse the cause, cultivate, honour, have regard to.

٨ – انظر: لوقا ١٤: ٣٢؛ لوقا ١٩: ١٤.

9. *Ibid.*, p. p. 1128, 1129.

”اشفع أو اشفعوا“ قد استقرَّ في النُّصوص اللَّيتورجيَّة في القرون المتأخِّرة، أي بعد القرن الرَّابِع عشر الميلادي - سواء في الأديرة أو في كنائس المُدن^(١٠)، بدلاً من كلمة **Πρωβ** (طُبه) أي ”أطلب، أو اطلبوا“ لباقي الشُّهداء والقديسين.

وأما العذراء والدة الإله القديسة مريم، فتتفرَّد بين كافة السَّمائيين والأرضيين، بطلب شفاعتها منذ البداية، بالتَّعبير القبطي الواضح **Αριπρεσβετιν** (أريبريزفين) أي ”اشفعي“، ومشتقَّات هذا الفعل. وهو ما نجده في ”مخطوط أنبا مقار“، و ”مخطوط فيينا“. فنقرأ فيهما على سبيل المثال:

- ”... ونحن نطلب لنفوز بالرحمة بشفاعتك **εἰπεν νεπρεβτια** عند محب البشر“.
- ”أنت بالحقيقة فخرُ جنسنا والشَّفيعة لنفوسنا **οὐος ἡπροστατης ἡτε νενηφτιχη**. اشفعي فينا **αριπρεσβετιν εἰρηι εἰχων** فُدَّام مخلصنا لكي يثبَّتنا في الأمانة المستقيمة“.
- ”فلنطلب إليها كوالدة الإله كلَّ حين، أن تشفع فينا **αριπρεσβετιν εἰρηι εἰχων** أمام ابنها الوحيد“.

وهذا يرينا أن الشفاعة منذ البداية، كانت تختص بالسيد المسيح له المجد، وبالرُّوح القدس، وبالعذراء القديسة مريم والدة الإله. ومنذ القرن الرَّابِع عشر الميلادي تقريباً، أُضيف إلى العذراء في أمر الشَّفاعة، السَّمائيون ورؤساء الملائكة، ويوحنا المعمدان. ومن المعروف أن مجمع تسبحة نصف اللَّيل قد عُرف في الكنيسة بعد القرن الرَّابِع عشر الميلادي.

• ”الرُّوح الحبي“ الذي يحبي نفوسنا

يقول القديس إيريناؤس:

[بدون روح الله يكون الجسد ميتاً، عادم الحياة، وعاجزاً عن أن يرث ملكوت الله ... ولكن حيث يكون روح الآب، هناك يكون الإنسان حياً ... ويصير الجسد ميراثاً للرُّوح وكأنه قد نسي كيانه الخاص، واكتسب صفات الرُّوح، وتشبَّه بشكل كلمة الله ... لذلك قيل: كما أننا بدون الرُّوح السماوي، كنَّا نسلك فيما مضى في الجسد العتيق، وكنَّا غير طائعين لله؛ هكذا الآن بعد أن قبلنا الرُّوح ”فلنسلك في حدة الحياة“ (رومية ٦: ٤)، ولنكن مطيعين لله. إذاً، فنحن بدون روح الله، لا نستطيع أن نخلص!] (ضد الهرطقات ٥: ٣:٩).

ويقول البابا أثناسيوس الرسولي، مدافعاً عن أن الرُّوح القدس ليس مخلوقاً كأحد المخلوقات، فيقول:

[الرُّوح القدس) يُدعى روحاً حياً لأنه يقول «الذي أقام يسوع من الأموات سيحيي أجسادكم المائة أيضاً بروحه السَّاكن فيكم» (رومية ٨ : ١١). والرَّبُّ هو الحياة نفسها، وهو «بادئ الحياة» كما قال بطرس (أعمال ٣ : ١٥)، بل والرَّبُّ نفسه قال: «الماء الذي أعطيه، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية .. قال هذا عن الرُّوح الذي كان المؤمنون به، مزعمين أن يقبلوه» (يوحنا ٤ : ١٤، ٧ : ٣٩). فالمخلوقات كما قيل، تنال الحياة به. فذلك الذي لا يأخذ الحياة بل هو نفسه الذي تؤخذ منه، ويحيي المخلوقات، فأية قرابة يمكن أن تكون بينه وبين الأشياء المخلوقة؟ كيف يمكن أن يكون من بين المخلوقات التي تنال الحياة به من الكلمة^(١١).

ويقول القديس غريغوريوس النَّزِينِي (٣٢٩-٣٨٩م):

[الرُّوح القدس هو الرُّوح الخالق (مزمو ١٠٤: ٣٠)، بل هو الذي يجدد الخلقة بالمعمودية وبالقيامة. هو الرُّوح الذي يعرف كلَّ شيء (١ كورنثوس ٢: ١٠)، وهو الذي يعلمنا كلَّ شيء (يوحنا ١٤: ٢٦) ... وهو الذي يرشدنا (إلى جميع الحق) (يوحنا ١٦: ١٣). هو «روح الإعلان» (أفسس ١: ١٧)، وهو الذي يُنير (أفسس ١: ١٨)، ويُحيي (يوحنا ٦: ٦٣)، بل وهو بذاته النُّور والحياة. هو الذي يجعلنا هياكل لله (١ كورنثوس ٣: ١٦)] (عظة ٢٨: ٣١ عن الرُّوح القدس).

١٠ - لأنَّ ”مخطوط فيينا“ لم يكن مخطوطاً للإستخدام الدَّيري كما في ”مخطوط أنبا مقار“، بل كان ملكاً لأُسقف قبطي من أساقفة الصَّعيد.

١١ - رسائل القديس أثناسيوس عن الرُّوح القدس، ١: ٢٣

• "روح الحق"

يقول البابا أناسيوس الرسولي:

[الرَّبِّ دَعَا الرُّوحَ: «رُوحَ الحَقِّ» وَ «المعزي» (يو ١٤: ١٦، ١٧). مبيِّناً بهذا، أَنَّ الثَّالوثَ كَامِلٌ بِهِ. ففِيهِ، يَجْعَلُ الكَلِمَةَ الخَلِيقَةَ مَجِيدَةً، وَمِنْحَهُ إِيَّاهَا الحَيَاةَ الإِلَهِيَّةَ وَالتَّبْنِيَّ، فَإِنَّهُ يَجْذِبُهَا إِلَى الآبِ. وَلَكِنْ ذَاكَ الَّذِي يَرْبِطُ الخَلِيقَةَ بِالكَلِمَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنَ المَخْلُوقَاتِ. وَالَّذِي يَمْنَحُ التَّبْنِيَّ لِلخَلِيقَةِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَرِيبًا عَنِ الابْنِ ... لِذَلِكَ فَالرُّوحُ لَيْسَ وَاحِدًا مِنَ المَخْلُوقَاتِ، بَلْ هُوَ خَاصٌّ بِلاهوت الآبِ وَالَّذِي فِيهِ يَجْعَلُ الكَلِمَةَ الأَشْيَاءَ المَخْلُوقَةَ تَشَارِكُ فِي الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ. وَذَلِكَ الَّذِي بِهِ تَشْتَرِكُ الخَلِيقَةُ فِي الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَارِجًا لِلاهوت الآبِ] (١٢).

ويقول القديس إيريناؤس:

[الرُّوحُ هُوَ حَقٌّ، وَلِذَلِكَ فَالَّذِينَ لَا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ لَا يَرْضَعُونَ ثَمَرِي أَهْمًا (الكنيسة) لِنَالُوا الحَيَاةَ، وَلَا يَرْتَشَفُونَ مِنَ البِنْبُوعِ الصَّافِي الَّذِي يَنْبُوعُ مِنَ جَسَدِ المَسِيحِ] (ضد الهرطقات ٣: ٢٤: ١).

• "روح القداسة والتجديد"

يقول البابا أناسيوس الرسولي:

[الرُّوحُ (القُدُسُ) هُوَ رُوحُ القُدَاسَةِ وَالتَّجْدِيدِ (١٣) وَهُوَ يُدْعَى هَكَذَا، لِأَنَّ بُولسَ يَكْتُبُ: «وَتَحَدَّدُ أَنَّهُ ابْنٌ بِقُوَّةٍ، مِنْ جِهَةِ رُوحِ القُدَاسَةِ، بِالقِيَامَةِ مِنَ الأَمَوَاتِ، يَسُوعُ المَسِيحُ رَبُّنَا» (رومية ١ : ٤). وَيَقُولُ أَيْضًا: «لَكِنْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِروحِ إِهْنَا» (١ كورنثوس ٦ : ١١). وَحِينَمَا يَكْتُبُ إِلَى تِيطُسَ يَقُولُ: «لَكِنْ ظَهَرَ لَطْفٌ مُخْلِصُنَا اللهُ وَمَحَبَّةٌ لِلبَشَرِ، لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرِ عَمَلِنَا نَحْنُ، بَلْ بِمَحْتَضِي رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِحَمِيمِ المِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ القُدُسِ الَّذِي سَكَبَهُ عَلَيْنَا بِعَنِي بِيسوعِ المَسِيحِ مَخْلِصُنَا. حَتَّى إِذَا تَبَرَّرْنَا بِنِعْمَتِهِ نَصِيرُ وَرَثَةً حَسَبِ رَجَاءِ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ» (تيطس ٣ : ٤-٧). فَالمَخْلُوقَاتُ تَتَقَدَّسُ وَتَتَجَدَّدُ بِهِ؛ «تُرْسَلُ رُوحَكَ فَتَخْلُقُ وَتَجَدَّدُ وَجِهَ الأَرْضِ» (مزمو ١٠٤ : ٣٠) (١٤).

• وَيُشْرِحُ لَنَا القُدَيْسُ مَقَارِيُوسَ الكَبِيرِ، كَيْفَ يَجَدِّدُنَا الرُّوحُ القُدُسُ، فَيَقُولُ:

[فَلنَغْصِبْ نَفُوسَنَا وَنُلْزِمَهَا بِالتَّوَاضُعِ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ قَلْبُنَا لَا يَهْوَى ذَلِكَ، وَنُلْزِمَهَا بِالوَدَاعَةِ وَالجَبَّةِ، طَالِبِينَ وَمَتَوَسِّلِينَ إِلَى اللهِ بِإِيْمَانٍ وَرَجَاءٍ وَمَحَبَّةٍ، بِدُونِ انْقِطَاعٍ، مُنْتَظِرِينَ هَذَا، وَوَاضِعِينَ إِيَّاهُ كَهَدَفٍ لَنَا؛ أَنْ يُرْسِلَ رُوحَهُ إِلَى قَلْبِنَا، حَتَّى نُصَلِّيَ وَنَسْجُدَ لَهِ بِالرُّوحِ وَالحَقِّ. حِينَئِذٍ الرُّوحُ نَفْسَهُ سَيُصَلِّيَ مِنْ دَاخِلِنَا، وَالرُّوحُ نَفْسَهُ سَيُعَلِّمُنَا الصَّلَاةَ الحَقِيقِيَّةَ، الَّتِي لَا نَقْدِرُ عَلَيْهَا الآنَ مَهْمَا غَضِبْنَا نَفُوسَنَا، وَنُعَلِّمُنَا التَّوَاضُعَ الحَقِيقِي الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُهُ الآنَ وَلَا بِالتَّغْصُّبِ، وَيُعْطِينَا أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ وَلُطْفًا، وَنُعَلِّمُنَا أَنْ نَحْفَظَ بِالحَقِّ جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ بِدُونِ تَعَبٍ وَلَا تَغْصُّبٍ، بَلْ عَلَى قَدْرِ مَا يَعْرِفُ الرُّوحُ أَنْ يَمْلَأَنَا مِنْ ثَمَارِهِ، وَهَكَذَا يُقَدِّمُ نَفُوسَنَا لِلْمَسِيحِ كَعُرُوسٍ حَسَنَةٍ، نَقِيَّةٍ وَبِلا لَوْمٍ] (العظة ١٩ : ٨-٩).

ويقول أبنا آموناس تلميذ أبنا أنطونيوس:

[ارْفَعُوا أَفْكَارَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاطْلُبُوا مِنْ كُلِّ قَلْبِكُمْ هَذَا الرُّوحَ النَّارِي، وَهُوَ يُعْطِي لَكُمْ؛ وَانظُرُوا لئَلَّا تَأْتِيَ عَلَى قَلْبِكُمْ أَفْكَارُ شَكٍّ قَائِلَةٌ: مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ؟ لَا تَدْعُوا هَذِهِ الأَفْكَارَ تَسَلِّطَ عَلَيْكُمْ، بَلْ اطْلُبُوا بِاسْتِقَامَةٍ وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَهُ. وَأَنَا أَيْضًا أَبُوكُمْ أَطْلُبُ مِنْ أَجْلِكُمْ لِكَيْ تَقْبَلُوهُ ... وَمَتَى

١٢- رسائل القديس أناسيوس عن الروح القدس، ٢٥: ١

١٣- كون القديس أناسيوس عندما يتحدث عن الروح يضيف كلمة التجديد بعد كلمة القداسة، فهذا يبين أنه لا يفصل بين القداسة وبين تجديد الطبيعة وإعادةها إلى عدم الفساد. وهذا ما يتحدث عنه أيضا في كتابه "تجسد الكلمة" (فصول من ٤-١٠).

١٤- رسائل القديس أناسيوس عن الروح القدس، ٢٤: ١

قبلتموه فهو يكشف لكم أسرار السَّماء، لأنه يُعلن لكم أموراً كثيرة لا أستطيع أن أكتبها على ورق. وحينئذ لا تخافون من أيِّ أمرٍ مخيف، بل يسودكم فرحٌ سماوي، وهكذا تكونون وأنتم ما زلتم في الجسد، كمن انتقل إلى الملكوت [الرَّسالة الرَّابِعة بحسب النُّسخة اليونانيَّة، وهي تقابل الرَّسالة الثَّامنة لأنبا أنطونيوس في النُّسخة العربيَّة].

• "روحُ التَّبني"

يقول الأنبا أنطونيوس (٢٥١-٣٥٦ م) :

[أيها الأحباء في الرَّبِّ، إنَّ الله لم يفتقد خليقته مرَّةً واحدة فقط، بل في كلِّ وقتٍ من بداية العالم إلى نهايته. فكلُّ من يطلب الرَّبَّ باجتهادٍ ومحبَّةٍ ويسمع تعاليمه، فإنَّه يكون معه ويعطيه الرُّوح القدس] (الرَّسالة ١:١).

ويقول الأنبا أنطونيوس أيضاً:

[لما علِّم ربُّنا يسوع المسيح أنَّ تلاميذه قد اقتربوا أن يقبلوا روح البنوَّة، وأهمُّ قد عرفوه وتعلَّموا بالروح القدس، قال لهم: «لست أدعوكم الآن عبيداً بل أحبباء وإخوة، لأنَّ كلَّ ما سمعته من الآب أعلمتكم به» (يوحنا ١٥:١٥). ولهذا فالذين علموا بحقيقة جوهرهم العقلي، نطقوا بأصواتهم قائلين: «إننا لم نقبل روح العبوديَّة فنخاف، بل روح البنوَّة الذي به ندعو الآب أبانا» (رومية ٨:١٥). فالآن، يا ربُّ، قد علمنا ما أنعمت به علينا. فإن كُنَّا بنين فنحن وارثون لله، وأحبباء وشركاء ميراث المسيح (رومية ٨:١٧) (الرَّسالة ٣:٢).

ويقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤ م) :

[المسيح حينما قام بعد أن سبى الجحيم، أعطى لمن يؤمنون به روح التَّبني. وأوَّل الكلِّ لتلاميذه الأخصاء. لأنه: «نفتح وقال لهم: اقبلوا الرُّوح القدس. مَنْ غفرتم خطاياهم تُغفر له» (يوحنا ٢٠: ٢٢)، ومنذ ذلك صاروا تماماً شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة. ولكي يوضِّح يوحنا الإنجيلي الجزيل الحكمة أنَّ روح التَّبني لم يكن في البشر قبل صعود الرَّبِّ، يقول: «لأنَّ الرُّوح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأنَّ يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» (يوحنا ٧: ٣٩) بمجد القيامة من بين الأموات والصُّعود إلى السَّموات. ولكن لما صعد إلى هناك الابن الوحيد، كلمة الله، أرسل كبديل له الباراقليط، الذي به يكون هو (المسيح) فينا] (عظة ٣٨ على إنجيل لوقا).

• "المنبتق من الآب"

يقول الرَّبُّ يسوع: «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق ἐκπορεύεται، فهو يشهد لي» (يوحنا ١٥: ٢٦).

والفعل اليوناني ἐκπορεύω أو ἐκπορεύομαι مكوَّن من مقطعين؛ المقطع الأوَّل هو: ἐκ = "من - من بين". والمقطع الثَّاني هو: πορεύομαι "يخرج - ينبثق - ينطلق". ومن ثمَّ، فالكلمة كلها تعني: "يخرج من - ينبثق من - ينطلق من". وقد ورد هذا الفعل - والاسم منه ἐκπορεύσις - في كتاب العهد الجديد ٣٤ مرَّةً.

وأوردُ فيما يلي بعضاً من الأمثلة لهذا الفعل:

«ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلِّ كلمة تخرج (بكلِّ قول خارج ἐκπορευομένω) من فم الله» (متى ٤: ٤).

«وفيما هو خارج (ولما خرج ἐκπορευομένω αὐτοῦ) إلى الطَّريق» (مرقس ١٠: ١٧).

«وأراني نهراً صافياً من ماء حياة خارجاً (ينبع ἐκπορευόμενον) من عرش الله» (رؤيا ٢٢: ١).

وعندما يتحدَّث القديس أنثاسيوس الرِّسولي عن اثبتاق الرُّوح القدس، يستخدم نفس هذا الفعل اليوناني المستعمل في بشارة القديس يوحنا (٢٦: ١٥): «روح الحق الذي من عند الآب "ينبتق". ونفس هذه الكلمة استعملها قانون الإيمان التِّقَاوي القسطنطيني عن الرُّوح القدس، في قول قانون الإيمان: "الرَّبُّ الحيي المنبتق من الآب".

أما الفعل اليوناني πέμπω فيعني: "يرسل - مُرسل - مُرسِل". وقد ورد حوالي ٨٠ مرة في كتاب العهد الجديد. «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله πέμψω أنا إليكم من الآب...» (يوحنا ١٥: ٢٦). «المعزّي الذي ... سيرسله πέμψει الآب باسمي» (يوحنا ١٤: ٢٦).

وانبثاق الرّوح القدس من الآب، عقيدة كنسيّة تقنّت في مجمع القسطنطينيّة المسكوني سنة ٣٨١م كقول الرّب: «ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله πέμψω أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق ἐκπορεύεται فهو يشهد لي» (يوحنا ١٥: ٢٦).

فالرّوح القدس ينبثق أو فائض من الآب أزلياً في الابن. لذلك فهو يُدعى روح الآب، وروح الابن أيضاً. وهو مُرسل إلينا من الآب زمنياً بواسطة الابن. فالآب هو الذي يُرسل الرّوح القدس بالابن، أي من خلال الابن. فحينما يقول السيّد المسيح عن الرّوح القدس: «سأرسله أنا إليكم من الآب»، فهو نفس المعنى الذي يكرّره بقوله: «الرّوح القدس الذي سيرسله الآب باسمي». فالآب هو مصدر كل شيء. فالروح ينبثق من الآب أزلياً في الابن، ومُرسل إلينا زمنياً بواسطة الابن، أو من خلاله، أو باسمه. ذلك لأن الآب هو المصدر وهو التّبع، منه ينبثق الرّوح القدس، ومنه يولد الكلمة. والانبثاق والولادة هنا هما أزليان أزليّة الآب نفسه. فلا يوجد ينبوع في اللاهوت إلا في الآب فقط.

ويفرّق القديس أنثاسيوس الرّسولي بين علاقة الرّوح القدس بالآب وعلاقته بالابن. فيقول: [... الرّوح الذي "ينبثق من الآب"، والذي بسبب أنه روح الابن، أُعطي بواسطته (أي بواسطة الابن) للتلاميذ، ولجميع الذين آمنوا به] ^(١٥).

يقول القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩م) في إحدى رسائله عن الرّوح القدس: [الرّوح القدس ... متّصل بالابن، ولا يُدرك إلاّ متّصلاً به. أمّا كيانه، فيأخذه من الآب الذي ينبثق منه ... الرّوح القدس ينبثق من الآب في الابن ...] ^(١٦).

أمّا الكنيسة الغربيّة، فقد أضافت كلمة "والابن" على عبارة "منبثق من الآب" فصارت "منبثق من الآب والابن". وعن هذه الإضافة يقول أحد علماء الغرب، وهو العالم برسيغال: "إنّ هذه الإضافة حدثت أولاً في إسبانيا سنة ٤٠٠م، ولم يطل الوقت حتى قُبلت الزيادة في كل مكان ما عدا روما. وعارض البابا لاون الثالث زيادة كلمة "والابن" سنة ٨٠٩م، وأمر بنقش دستور الإيمان باللّغتين اللاتينيّة واليونانيّة بدون هذه الزيادة على صحيفتين من الفضة، علّقهما على منبر الاعتراف في كنيسة القديس بطرس في روما. ولم يُسمح باستعمال الدستور (دستور الإيمان) مع هذه الزيادة في القُداس في روما حتى سنة ١٠١٤م. ففي تلك السنّة، اقتنع البابا بندكتوس الثامن بإدخال هذه الزيادة، إجابة لإلحاح هنري الثاني ملك جرمانية. ومن ذلك الحين نُزعت صحيفتا الفضة من كنيسة القديس بطرس" ^(١٧).

* * *

١٥ - رسائل القديس أنثاسيوس عن الرّوح القدس، ٢: ١

16. *NPNF.*, 2nd Ser., vol. viii, p. 138.

١٧ - الأرشندريت حنانيا كسّاب، مرجع سابق، ص ٢٤٨ - ٢٥٤، ٣٤٦ - ٣٤٩ ولزيادة الفائدة انظر: الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الجزء الثاني، سنة ١٩٨٥م، ص ٩٠ - ٩٤. وأيضاً: الأب لويس برسوم الفرنسيكاني، تفسير الأناجيل المقدّسة التي تُقرأ في أيام الأحاد والأعياد حسب طقس كنيسة الإسكندريّة، الطبعة الثانية، الجزء الثاني سنة ١٩٧٢م، ص ٨٣ - ٨٧

وما تبقى من وقت سأتكلم فيه عن موضوعين عن الرُّوح القدس.

(أ) "الرُّوح القدس هو روح الوحدة"

• الرُّوح القدس هو الذي يجعل الكنيسة كنيسة واحدة، طبقاً لقول الإنجيل المقدس: «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١ كورنثوس ١٢: ١٣). وأيضاً القول: «جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد» (أفسس ٤: ٤).

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

«لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١ كورنثوس ١٢: ١٣). إنَّ المعنى الذي يقصده هو هذا: إنَّ الذي جعلنا جسداً واحداً ووُلدنا من جديد، هو روحٌ واحد. لأنه لم يعتمد الواحد بهذا الرُّوح، والآخر بروح آخر. وليس فقط (الرُّوح) الذي عمَّدنا هو واحد، بل وأيضاً ما عمَّدنا إليه (أي الجسد) هو واحد، لأننا لم نعتد لنكون أجساداً مختلفة، بل لنحفظ بحرص بعضنا مع بعض سلامة الجسد الواحد، أي أننا اعتمدنا بهذا الرُّوح الواحد، لنصير جميعاً جسداً واحداً، فالذي كوَّننا هو واحد، وما كوَّننا إليه هو أيضاً واحد^(١٨) ...

فإن كان الرُّوح الذي كوَّننا واحداً، وقد جمعنا كلنا إلى جسد واحد، (لأن هذا هو معنى قوله «اعتمدنا إلى جسد واحد»)، وقد أنعم علينا بمائدة واحدة، وأعطانا جميعاً شرباً واحداً، (لأن هذا هو معنى قوله «وسُقينا روحاً واحداً»)، وقد وُحِدَ أفراداً مختلفين بمثل هذا المقدار، وصيرَ الكثيرين جسداً واحداً، فما بالك تبحث في كل صغيرة وكبيرة عن الفرق بينهم؟!^(١٩) [العظة ٣٠ في تفسير ١ كورنثوس ١٢: ١٣].

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي:

[الذين يكون فيهم الرُّوح القدس يكونون متَّحدين بالله. فإن كان (الرُّوح القدس) يوحد الناس بالله، فلا شك أن طبيعته هي طبيعة الله] (الرسالة الأولى إلى سربايون: ٢٤)^(٢٠).

ويقول القديس إيريناؤس:

[الرُّوح (القدس) يجمع في الوحدة القبائل المتخالفة، ويقدم للآب باكورة من جميع الأمم، وهذا هو ما وعد به الرب أن يرسل الباراقليط الذي يؤلفنا مع الله. فكما أنه يستحيل أن يصير الدقيق الجاف عجيناً واحداً ولا خبزاً واحداً بدون ماء، هكذا نحن الكثيرين لا يمكن أن نصير واحداً في المسيح يسوع بدون ذلك الماء (الرُّوح) السماوي!] (ضدَّ الهرطقات ٣: ١٧: ٢).

ويشرح القديس كيرلس الأورشليمي، لماذا يدعو الرب نعمة الرُّوح ماءً، فيقول:

[لماذا يدعو الرب نعمة الرُّوح القدس ماءً؟ (يوحنا ٤: ١٤، ٧: ٣٨ و ٣٩)، ذلك لأنَّ قوام كلِّ شيء يكون بالماء ... ولأنَّ الماء ينزل واحداً في شكله، ولكنَّه يتنوَّع في مفعوله، فإنَّ ينبوعاً واحداً يسقي الفردوس كلَّه (تكوين ٢: ١٠)، والمطر الواحد بعينه ينزل على العالم كلَّه، فيصير أبيض في السوسنة وأحمر في الورد، وأرجوانياً في الزنبقة والبنفسج، ويتنوَّع ويتشكَّل بصور متعدِّدة، فهو في النَّحلة غير ما يكون في الكرمة، وهو يصير في الكُل كلِّ شيء، مع بقائه واحداً في طبعه، دون أن يختلف بعضه عن بعضه. فإنَّ المطر لا يغيِّر ذاته وينزل بصور مختلفة عن بعضها، ولكنَّه يتكيَّف مع طبيعة الكائنات التي تقبله. فيصير لكلِّ واحدة منها بما يناسب تكوينها. وهكذا الرُّوح القدس أيضاً وهو واحد بطبعه وغير منقسم، لكنه يُقسَّم النعمة على كلِّ واحد كما يشاء (١ كورنثوس ١٢: ١١)] (عظة ١٦: ١٢).

18. PG 61, 250.57-251.3

19. PG 61, 251.45-52

20. PG 26, 588.1-3

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

[إنَّ الرُّوحَ القُدُسَ، فيما يخصُّ توزيع مواهبه، يُعتبر مثل "الكلِّ" الموجود في الأجزاء. فإننا جميعاً «أعضاء بعضاً لبعض، ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب التَّعْمة المعطاة لنا» (رومية ١٢: ٥ و٦). ولذلك «لا تقدر العين أن تقول لبيد لا حاجة لي إليك، أو الرأس أيضاً للرَّجلين لا حاجة لي إليكما» (١ كورنثوس ١٢: ٢١). ولكن جميع الأعضاء معاً تُكْمَل جسد المسيح في وحدة الرُّوح القُدُس، وتتبادل المنفعة بعضُها لبعض بموجب مواهبها الخاصة، «لأنَّ الله قد وضع الأعضاء في الجسد، كلٌّ واحد كما أراد» (١ كورنثوس ١٢: ١٨). والأعضاء «تهتم اهتماماً واحداً بعضُها لبعض» (١ كورنثوس ١٢: ٢٥)، بحسب الشَّرْكة الرُّوحِيَّة النَّاتِجَة من وحدة مشاعرهم. ولذلك «إن كان عضوٌ واحداً يتألَّم، فجميع الأعضاء تتألَّم معه. وإن كان عضوٌ واحداً يُكْرَم، فجميع الأعضاء تفرح معه» (١ كورنثوس ١٢: ٢٦). وكما أنَّ الأجزاء تكون في "الكلِّ"، هكذا نحن أيضاً بأفرادنا نكون في الرُّوح القُدُس، لأننا جميعاً في جسد واحد، قد اعتمدنا إلى روح واحدٍ] (في الرُّوح القُدُس ٢٦ / ٦١) (٢١).

ويقول القديس كيرلس الكبير:

[إن كان هو نفسه (المسيح) نهرَ الله المملوء ماءً بحسب قول الزمور (٦٤: ١٠ سيعينية)، ووادي التَّعِيم الذي يسقي منه الله الآب الذين يَحْبُونه، فكيف لا يُعتبر روحه شراباً وماءً حياً؟ فإن كنا قد دُعينا إلى الوحدة بواسطة الرُّوح، وصرنا جسداً واحداً في المسيح، فلنتمسك، إذاً، برباط الحَبَّة بغير انقسام!] (شرح رسالة كورنثوس الأولى ١٢: ١٣).

ويقول أيضاً:

[كما أنَّ قوَّة الجسد المقدَّس تجعل الذين يحلُّ فيهم جسداً واحداً بالتَّمام، كذلك أعتقد بنفس الطَّرِيقَة أنَّ روح الله حينما يحلُّ في الجميع، وهو واحدٌ وغير قابل للانقسام، فهو يجمع الجميع إلى الوحدة الرُّوحِيَّة] (شرح إنجيل يوحنا ١٧: ٢١).

ويقول الأنا أنطونيوس:

[إنَّ كلَّ المجتمعين (في حياة الشَّرْكة) إذا لم يكونوا قلباً واحداً، يجلبون على أنفسهم الحروب، ويصنعون لهم دينونة] (الرَّسالة ٣: ١).

(ب) معنى التَّجْدِيف على الرُّوح القُدُس

يقول البابا أنثاسيوس الرِّسُولِي، في شرحه لهذا الموضوع، موجهاً حديثه إلى الأسقف سراييون (٢٢):

[بعد إجراء (الرَّبِّ) معجزات كثيرة كما ذكر الإنجيل، قال الفريسيُّون «هذا الإنسان يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين». والرَّبُّ الذي عرف أفكارهم قال لهم: «كلُّ مملكة منقسمة على ذاتها تخرب» (متى ١٢: ٢٤-٢٥) وبعدها مباشرة قال: «إن كنتُ بروح الله أخرج الشياطين، فقد جاء عليكم ملكوتُ الله» (متى ١٢: ٢٨). ثم حتم بقوله «كلُّ خطيئة وتجديف يُغفر، أمَّا التَّجْدِيف على الرُّوح القُدُس، فلا مغفرة له، لا في هذا الدَّهر ولا في الدَّهر الآتي أيضاً» (متى ١٢: ٣١-٣٢).

ومن هنا جاء سؤالك: لماذا يُغفر التَّجْدِيف على الابن؟ ولماذا لا يُغفر التَّجْدِيف على الرُّوح القُدُس لا في هذا الدَّهر ولا في الدَّهر الآتي أيضاً؟

لقد قرأتُ ما كتبه الآباء وبالذات الحكيم والجاهد أوريجانوس والعجيب الجاهد ثيوغوستس. واطَّلعت على كتبهم لأرى ماذا قالوا بخصوص هذا الموضوع. كلاهما قال: "إنَّ التَّجْدِيف على الرُّوح القُدُس يحدث عندما يعود الذين حصلوا على نعمة الرُّوح القُدُس في المعمودية، إلى الخطيئة. ولذلك يتفق كلاهما مع الآخر على عدم وجود

٢١- هذان الترقيمان هما ترقيمان متوازيان لنفس الكتاب. كما في قولنا زمور ٥١/٥٠

٢٢- رسائل القديس أنثاسيوس عن الرُّوح القُدُس، ٤: ٨-الخ

مغفرة، مستندين إلى ما ذكره بولس في الرِّسالة إلى العبرانيين «إنه من المستحيل لمن استنبروا...» (عبرانيين ٦ : ٤-٦) عند هذه النُّقطة كلُّ منهما يتحدَّث مثل الآخر تماماً ...

نحذر من الظَّن بأنَّ الرُّوح أسمى من الابن، طالما أنَّ التَّجديف على الرُّوح بلا مغفرة ... كلُّ من يخطئ ويحدِّف على الابن، يخطئ ويحدِّف على الآب والرُّوح القدس ... وكلُّ من يحدِّف بعد المعموديَّة، قد حدِّف على الثَّالوث الأقدس. وهذا هو التَّعليم الحقيقي الذي يجب أن نقبله ... فإنَّ هذه الكلمات ليست موجهة ضدَّ الذين يخطئون بعد المعموديَّة، خصوصاً وأنَّ الرَّب لم يكن يشتكيهم بخطايا عامة، ولكن بالتَّجديف بالذَّات. وهناك فرقٌ بين الذي يخطئ ويتعدَّى النَّاموس، والذي بسبب عدم تقواه يحدِّف على الله نفسه.

وقبل ذلك اتَّهم الرَّبُّ الفريسيين بخطايا أخرى مثل محبَّة المال التي من أجلها أبطلوا الوصيَّة الخاصة بالوالدين، ورفضوا كلمات الأنبياء، وجعلوا بيت الله بيت تجارة، وفي كلِّ هذا انتهرهم المُخلِّص لكي يتوبوا. أمَّا عندما قالوا إنه ببعزبول يُخرج الشياطين، لم يقلُّ لهم ببساطة إنهم يخطئون، بل إنهم يحدِّفون بصورة شنيعة، تستوجب العقاب، وتجعل المغفرة مستحيلة، لأنهم تبادوا إلى حيث لا حدود لخطئهم ...

وإذا فحصنا جهل هؤلاء وأولئك، أي الذين يُخطئون ولهم معرفة بالنَّاموس مثل الفريسيين أو الذين يستسلمون للجنون وينكرون وجود الكلمة في الجسد، أو يذهبون إلى أبعد من هذا عندما ينسبون أعمال اللاهوت إلى الشيطان وجنوده، فإنه من العدل أن تكون عقوبة عدم تقواهم هي عدم المغفرة، لأنهم اعتبروا الشيطان مثل الله. وحسبوا أنَّ من هو بالحقيقة الله، لا شيء في أعماله يدل على ألوهيته، بل أنه الشيطان، يستخدم أعوانه.

وإلى هذه الدَّرجة السُّفلى من عدم التَّقوى، انحدر اليهود في ذلك الزَّمان، وبالذَّات الفريسيون منهم. ورغم أنَّ الرَّب كان يقوم بأعمال الآب علانية، فهو أقام الموتى ومنح النَّظَر للعميان، وجعل العُرج يمشون، وفتح أذان الصُّم، وجعل الخرس يتكلَّمون، معلناً أن الخليقة العاقلة وغير العاقلة خاضعة له، لأنه هو الذي أمر الرِّيح ومشى على البحر. الجموع عاينت هذا، وامتألت بالدهشة ومجَّدت الله، إلا أنَّ الفريسيين قالوا: إنَّ هذه أعمال بعزبول. ومن فرط جنونهم، لم ينجحوا من أن يُعطوا للشيطان قوَّة الله. وأمام هذا، أعلن الرَّبُّ بالحق أنَّ تجديفهم بلا مغفرة، لأنهم عثروا في كلِّ ما يختصُّ بإنسانيته وكان لهم في المسيح كإنسان، رأيٌ شرير، إذ قالوا «أليس هذا ابن النَّجَّار» (متى ١٣ : ٥٥) وكيف يفهم الكُتُب وهو لم يدرسها (يوحنا ٧ : ١٥)؟ وما هي المعجزات التي «تعملها لتؤمن بك» (يوحنا ٦ : ٣٠)؟ و«لينزل عن صليبه الآن لنرى ونؤمن» (متى ٢٧ : ٤٢). وقد احتمل الرَّبُّ كلَّ هذا، وسُمِّي الإنجيل مثل هذه الأقوال، بالتَّجديف على ابن الإنسان، وتألم الرَّبُّ من قساوة قلوبهم (مرقس ٣ : ٥)، وقال: لو كنتم تعلمون ما هو سلامكم (لوقا ١٩ : ٤٢). وغفر الرَّبُّ لبطرس عندما تكلمت معه الجارية عن يسوع كإنسان، وأجاب بطرس بطريقة لا تختلف عن رأي الجارية وكلامها، ولكن الرَّبُّ غفر له عندما بكى بدموع. أمَّا عندما سقط الفريسيون إلى أدنى من كلِّ هذا وتفوهوا بما هو أشر من كلِّ ما سبق، حتى أنهم قالوا: إنَّ أعمال الله هي أعمال بعزبول، لم يحتملهم لأنهم جدَّفوا على روحه بقولهم إنَّ من يعمل هذه الأعمال ليس الله، ولكنَّه بعزبول ولهذا السَّبب استحقوا عقوبة أبدية ...

لم يكن الرَّبُّ يقصد بما قاله في الإنجيل، أن يقارن بين التَّجديف الموجه ضده، والتَّجديف الموجه للرُّوح القدس. ولا أشار - ولو من بعيد أو بطريق غير مباشر - إلى أنَّ الرُّوح القدس أسمى منه. ولا لأنَّ التَّجديف على الرُّوح أخطر، نطق الرَّبُّ بهذه الكلمات - حاشا - لأنه علَّم من قبل، أنَّ كلِّ ما هو للآب فهو لابن، وأنَّ الرُّوح يأخذ من الابن، وبذلك يمجِّد الابن (يوحنا ١٦ : ١٤-١٥). والرُّوح لا يعطي الابن، بل الابن هو الذي يعطي الرُّوح، وقد أعطاه لتلاميذه، وهم، لمن يؤمنون به بواسطتهم. ولم يكن الرَّبُّ يقارن نفسه بالرُّوح عندما قال هذه الكلمات، كما أنها لا تعني أنَّ الرُّوح أسمى من الرَّب. فهذا سوء فهم لكلمات المُخلِّص ...

أصبح تجديفهم (أي تجديف الفريسيين) بنوعيه موجه ضده. والنَّوع الأوَّل أقل خطورة بسبب العذر الواضح

وهو إنسانيته. أمّا النوع الثاني، فهو أكثر خطورة، لأنه إهانة موجّهة إلى ألوهيته. ومثل هذا التّجديف الخطير هو الذي استدعى عقوبة عدم المغفرة ...

لذلك سجّل مرقس، أنّ تجديف اليهود بلا مغفرة (شارحاً السبب بقوله): «وأما من جدّف على الرّوح القدس، فلن يُغفر له، بل هو مستحقّ لدينونة أبدية، لأنهم قالوا: إنّ به روحاً نجساً» (مرقس ٣ : ٢٩ - ٣٠) ...

ودراستنا للنّص، توضّح لنا، أنه يعني نوعي التّجديف اللّذين اشرنا إليهما سابقاً. ذلك أنّ المخلّص أشار إلى نفسه عندما قال: «ابن الإنسان». ولكنه كان يعني أيضاً نفسه عندما تحدّث عن «الرّوح». والاسم الأول «ابن الإنسان» يوضّح تجسّده، والاسم الثاني «الروح» يوضّح طبيعته الرّوحية غير المادية ولاهوته. وفي الواقع، إنّ الخطيئة التي يمكن غفرانها، هي العثرة النّاتجة عن رؤية ناسوته، أي ما يتعلّق به كابن الإنسان، ولكنّه أوضح أنّ التّجديف الذي لا يمكن مغفرته، هو التّجديف على «الرّوح» أي على الطّبيعة الإلهية ...

وهكذا يبدو لنا شيان ظاهران تماماً. الأوّل هو حالة من يرى الرّب في الجسد، ويعتبره مجرد إنسان، ويقول بعدم إيمان: «من أين الحكمة لهذا الإنسان» (متى ١٣ : ٥٤)؛ وكلّ من يتكلّم بهذا يخطئ بدون شك، ويجدّف على ابن الإنسان. والثاني، يرى أعماله التي تتم بالرّوح القدس، ويقول: إنّ صانع هذه الأعمال ليس الله، ولا ابن الله، وينسب هذه الأعمال لبعزبول. مثل هذا يُنكر لاهوته، وهذا ما يظهر واضحاً عدّة مرات في الإنجيل، لا سيما في النّص الذي نشرحه ...].